

(ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)
[61]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 367
الآيات 61\9 61 يقول تعالى ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون هو أذن أي من قال له شيئاً صدقه فينا ومن حدثه صدقه فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا روى معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال الله تعالى قل أذن خير لكم أي هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب يؤمن بالله ويؤمن للمؤمن أي ويصدق المؤمنين للذين آمنوا منكم أي وهو حجة على الكافرين ولهذا قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم.

(يحلّفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين)
ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) [62، 63]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 367
الآيات 62\9 63 قال قتادة في قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية قال ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وإن كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير قال فسمعنا رجل من المسلمين فقال والله إن ما يقول محمد لحق ولأنت أشر من الحمار قال فسعى بها الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك وجعل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله الآية وقوله تعالى ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله الآية أي ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله عز وجل أي شاقه وحاربه وخالفه وكان في حد والله ورسوله في حد فأن له نار جهنم خالدا فيها أي مهانا ومعذبا وذلك الخزي العظيم أي وهذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير

(يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخرج ما تحذرون) [64]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 367
الآيات 64\9 64 قال مجاهد يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا هذا وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 368

وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال في هذه الآية قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون أي إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم كقوله تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم إلى قوله ولتعرفنهم في لحن القول الآية ولهذا قال قتادة كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين

(ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) [65، 66]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 368

وقال ابن إسحاق 4229 وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حمير يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال بعضهم بعضا والله لكانا بكم غدا مقرنين في الحبال إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشي بن حمير والله لو ددت أن أقاضي علي أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا تغلب أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتكم كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على راحلته فجعل يقول وهو أخذ بحقيبها يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال مخشي بن حمير يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي فكان الذي عفى عنه في هذه الآية مخشي بن حمير فتسمي عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل كلاهما لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر

(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون، وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) [67، 68]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 369

الآيات 67\9 68 يقول تعالى بنو على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء يأمرهم بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم أي عن الإنفاق في سبيل الله نسوا الله أي نسوا ذكر الله فنسيهم أي عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا إن المنافقين هم الفاسقون أي الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة وقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم أي على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم خالد بن الوليد فيها أي ما كثر فيها مخلصين هم والكفار هي حسبهم أي كفايتهم في العذاب ولعنهم الله أي طردهم وأبعدهم ولهم عذاب

مقيم

(كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) [69]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 369

الآيات 69\9 69 يقول تعالى أصاب هؤلاء من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم وقوله بخلاقهم قال الحسن بدينهم وقوله وخضتم ليث خاضوا أي في الكذب والباطل أولئك حبطت أعمالهم أي بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون لأنهم لم يحصل لهم ثواب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا وباع حتى لو دخلوا حجر صب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله أهل الكتاب قال فمه

.....

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح.

(ألم يأتيهم نبي الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [70]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 369

الآيات 70\9 70 يقول تعالى واعظا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسول ألم يأتهم نبي الذين من قبلهم أي ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسول قوم نوح وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض إلا من آمن بعبده ورسوله نوح عليه السلام عاد كيف أهلكوا بالريح العقيم لما كذبوا هودا عليه السلام وشمود كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا عليه السلام وعقروا الناقة وقوم إبراهيم كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم وأهلك ملكهم نمرود بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله وأصحاب مدين وهم قوم شعيب عليه السلام

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 370

وكيف أصابتهم الرجفة وعذاب يوم الظلة والمؤتفكات قوم الفاء وقد كانوا يسكنون في مدائن وقال في الآية الأخرى والمؤتفكة أهوى أي الأمة المؤتفكة وقيل أم قراهم وهي سدوم والغرض أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا عليه السلام وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين أتتهم رسلهم بالبينات أي بالحجج والدلائل القاطعات فما كان الله ليظلمهم أي بإهلاكه إياهم لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل وإزاحة العلل ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق فصاروا إلى ما صاروا إليه من العذاب والدمار.

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) [71]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 370

الآيات 71\9 71 لما ذكر تعالى صفات المنفقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي يتناصرون ويتعاقدون كما جاء في الصحيح خ 481 م 2585 المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وفي الصحيح أيضا خ 6011 م 2586 مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقوله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة أي يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه ويطيعون الله ورسوله أي فيما أمر وترك ما

عنه زجر أولئك سيرحمهم الله من اتصف إن الله عزيز أي يعز من أطاعه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين حكيم في قسمته لهؤلاء وتخصيصه المنافقين فإن له الحكمة في جميع ما يفعله تبارك وتعالى

(وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) [72]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 370

الآيات 72\9 72 يخبر تعالى بما أعدّه للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أي ماكتين فيها أبداً ومساكن طيبة أي حسنة البناء طيبة القرار كما جاء في الصحيحين خ 4878 م 180 من حديث... أبي موسى.... الأشعري... قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً من السماء للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً أخرجاه خ 3243 م 2838 وفيهما أيضاً خ 2790 و 7423 عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان فإن حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو حبس في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أوفلا نخبر الناس قال إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن

.....

عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في السماء أخرجاه في الصحيحين خ 6555 م 2830 ثم ليعلم أن أعلى منزلة في الجنة مكان يقال له الوسيلة لقربه من العرش وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة

.....

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 371

وفي صحيح مسلم 384 من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي

صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة

.....
وفي مسند الإمام أحمد 2304 من حديث سعد بن أبي مجاهد الطائي عن أبي المدله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يياس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه..... وعند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها فقام أعرابي فقال يا رسول الله لمن هي فقال لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام ثم قال حديث غريب

.....
وعن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل مشمر إلى الجنة فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلأأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا إن شاء الله فقال القوم إن شاء الله رواه ابن ماجه 4332 وقوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم كما قال الإمام مالك رحمه الله عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون يارب ونصف شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا أخرجاه من حديث مالك خ 6549 م 2829

.....

**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم
وماوآهم جهنم وبئس المصير، يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما
لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من
فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله
عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من
ولي ولا نصير) [73، 74]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 372

أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلبة عليهم كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف سيف للمشركين فإذا أنسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وسيف لكفار أهل الكتاب فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وسيف للمنافقين جاهد الكفار والمنافقين وسيف للبغاة فقاتلوا المتي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير وقال ابن مسعود في قوله جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فإن لم يستطع فليكفر في وجهه وقال ابن عباس أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم

وقال الحسن وقتادة ومجاهد ومجاهدتهم إقامة الحدود عليهم وقد يقال إنه لامنافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال والله أعلم وقوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال قتادة نزلت في عبد الله بن أبي وذلك أنه اقتتل رجلان جهني وأنصاري فعلا الجهني على الأنصاري فقال عبد الله للأنصار ألا تنصروا أخاكم والله مامثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله فيه هذه الآية وروي إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة عن عمه موسى بن عتبة قال فحدثني عبد الله بن الفضل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول حزنت على من أصيب بالحرّة من قومي

فكتب إلى زيد بن أرقم وبلغه شدة حزني يذكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للأبناء ولأبناء الأنصار وشك ابن الفضل في أبناء أبناء الأنصار قال ابن الفضل فسأل أنس بعض من كان عنده عن زيد بن أرقم فقال هو الذي يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفي الله له بإذنه قال وذلك حين سمع رجلا من المنافقين يقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب لئن كان صادقا فنحن شر من الحمير فقال زيد بن أرقم فهو والله صادق ولأنت شر من الحمار ثم رفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجحده فأنزل الله هذه الآية تصديقا لزيد يعني قوله يحلفون بالله ما قالوا الآية رواه البخاري في صحيحه 4906 عن إسماعيل بن أبي أويس عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة إلى قوله هذا الذي أوفى الله بإذنه ولعل ما بعده من قول موسى بن عقبة وقد رواه محمد بن فليح عن موسى بن عقبة بإسناده ثم قال قال ابن شهاب فذكر ما بعده عن موسى بن شهاب والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق فلعل الراوي وهم في ذكر الآية وأراد أن يذكر غيرها فذكرها والله أعلم قال الأموي في مغازيه حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذني قومي فقالوا إنك امرؤ شاعر فإن شئت أن تعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الغلة ثم يكون ذنبا تستغفر الله منه وذكر الحديث بطوله إلى أن قال وكان ممن تخلف من المنافقين ونزل فيه القرآن منهم ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس بن سويد بن الصامت وكان علي أم عمير بن سعد وكان عمير في حجره فلما نزل القرآن وذكرهم الله بما ذكر مما أنزل في المنافقين قال الجلاس والله لئن كان هذا الرجل صادقا فيما يقول لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد فقال والله يا جلاس إنك لأحب الناس إلي وأحسنهم عندي بلاء وأعزهم علي أن يصله شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لأن ذكرتها لتفضحني ولئن كتمتها لتهلكني وإحداهما أهون علي من الأخرى فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال الجلاس فلما بلغ ذلك الجلاس خرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فحلف بالله ما قال ما قال عمير بن سعد ولقد كذب علي فأنزل الله عز وجل فيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم إلى آخر الآية فوقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 373
فرعموا أن الجلاس تاب فحسنت تويته ونزع فأحسن النزوع
هكذا جاء هذا مدرجا في الحديث متصلا به وكأنه والله أعلم من
كلام ابن إسحاق نفسه لامن كلام كعب بن مالك

وقد ورد أن نفرا من المنافقين هموا بالفتك بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال
السير وكانوا بضعة عشر رجلا قال الضحاك ففيهم نزلت هذه
الآية

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 374

ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم 2779 حدثنا زهير بن
حرب حدثنا أبو أحمد الكوفي حدثنا الوليد بن جميع حدثنا أبو
الطفيل قال كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة ما يكون
بين الناس فقال أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة قال فقال
له القوم أخبره إذ سألك فقال كنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن
كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أن اثني
عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم
الأشهاد وعذر ثلاثة قالوا ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا علمنا بما أراد القوم وقد كان في حرة يمشي
فقال إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد قوما قد سبقوه
فلعنهم يومئذ وما رواه مسلم أيضا 2779 من حديث قتادة عن
أبي نضرة عن قيس بن عباد عن عمار بن ياسر قال أخبرني
حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أصحابي اثنا
عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل
في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكم الديبلة سراج من نار تظهر
بين أكتافهم حتى ينجم في صدورهم ولهذا كان حذيفة يقال له
صاحب السر الذي لا يعلمه غيره أي من تعيين جماعة من
المنفقين وهم هؤلاء قد أطلعه عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم دون غيره والله أعلم

وقوله تعالى وما نعموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله أي
ومالرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته ويمن سعاداته
ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به كما قال صلى
الله عليه وسلم للأنصار ألم أجدكم ضللا فهداكم الله بي وكنتم
متفرقين فالفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئا

قالوا لله ورسوله أمن خ 4330 م 1061 وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب كقوله وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله الآية وقوله عليه السلام ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرا فأغناه الله خ 1468 م 983 ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة فقال فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة أي وإن يستمروا على طريقهم يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا أي بالقتل والهيم والغم والآخرة أي بالعذاب والنكال والهوان والصغار ومالههم في الأرض من ولي ولا نصير أي وليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم لا يحصل لهم خيرا ولا يدفع عنهم شرا.

(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون، ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) [75- 78]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 374
الآيات 75\9 78 يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فما وفي بما قال ولا صدق فيما ادعى فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة عيادا بالله من ذلك وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 375

في ثعلبة بن حاطب الأنصاري وقد ورد في حديث رواه ابن جرير ههنا وابن أبي حاتم من حديث معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فو الذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة ففتح عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي

الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتتحنى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة وأنزل الله جل ثناؤه خذ من أموالهم صدقة الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة من المسلمين رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن ينفذ هذا منك فقال بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له فأخذها منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقراه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال ياويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمى فأنزل الله عز وجل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية قال وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تعطني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبض صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم يقبض صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم يقبض صدقته رجع إلى منزله ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا

أقبلها منك فقبض ولم يقبلها فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان وقوله تعالى بما أخلفوا الله ما وعدوه الآية أي أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم كما في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن المطلوب وله شواهد كثيرة والله أعلم وقوله ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم الآية يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فإن الله أعلم بهم من أنفسهم لأنه تعالى علام الغيوب أي يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما بطن

(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) [79]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 376

وهذا أيضا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبتهم ولمزهم في جميع الأحوال حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مرء وإن جاء بشيء يسير قالوا إن الله لغني عن صدقة هذا كما روى البخاري 1415 حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو النعمان البصري حدثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن أبي مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرئي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صدقة هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين الآية وقد رواه مسلم أيضا في صحيحه 1018 من حديث شعبة به وقال الإمام أحمد 534 حدثنا يزيد حدثنا الجريري عن أبي السليل قال وقف علينا رجل في مجلسنا بالبقيع فقال حدثني أبي أو عمي أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع وهو يقول من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة قال فحللت 2 عمامتي لوثا أو لوئين وأنا أريد أن أتصدق بهما فأدركني ما يدرك ابن آدم فعقدت على عمامتي فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلا أشد منه سوادا ولا أقصر قمة ولا آدم بغير ساقه لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها فقال يا رسول الله أصدقة قال نعم قال دونك هذه الناقة قال فلهمة رجل فقال هذا يتصدق بهذه فوالله لهي خير منه قال فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت بل هو

خير منك ومنها ثلاث مرات ثم قال ويل لأصحاب المئين من الإبل ثلاثا قالوا إلا من يا رسول الله قال إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ثم قال قد أفلح المزهذ المجهد ثلاثا المزهذ في العيش المجهد في العبادة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء وقالوا إن الله ورسوله لغنيان عن هذا الصاع وقال العوفي عن ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يوما فنادي فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل آخر هم بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا إن الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون بصاعك من شئ ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقي أحد من أهل الصدقات فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبقى أحد غيرك فقال له عبد الرحمن بن عوف فإن عندي مائة أوقية من الذهب في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمجنون أنت قال ليس بي جنون قال أفعلت ما فعلت قال نعم مالي ثمانية آلاف أما أربعة فأقرضها ربي وأما أربعة آلاف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت ولمزه المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء وهم كاذبون إنما كان به متطوعا فأنزل الله عز وجل وعذره وعذره صاحب المسكين الذي جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في كتابه الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية وهكذا روى عن مجاهد وغير واحد وقال ابن إسحاق كان من المطوعين من درهم وعاصم بن عدي أخا بني العجلان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف وقام عاصم بن عدي وتصدق بمائة وسبق من تمر فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء وكان الذي تصدق بجهده أبو عقيل أخو بني أنيف الاراشي حليف بني عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة فتضحكوا به وقالوا إن الله لغني عن صاع أبي عقيل وقال

وقيل بل لها مفهوم كما روي العوفي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله يغفر لهم فقال الله من شدة غضبه عليهم سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم الآية وقال الشعبي لما ثقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهدده وتصلي عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله قال بل أنت عبد الله بن عبد الله إن الحباب اسم الشيطان فانطلق معه حتى شهدده وألبسه قميصه وهو عرق وصلّى عليه فقيل له أتصلي عليه فقال إن الله قال إن تستغفر لهم سبعين مرة ولاستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين وكذا روى عن عروة بن الزبير ومجاهد ابن جبير وقتادة بن دعامة ورواه ابن جرير بأسانيده

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) [81، 82]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 377

الآيات 81\9 82 يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وفرحوا بعودهم بعد خروجه وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا أي بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر ثم طيب الظلال والثمار فلماذا قالوا لا تنفروا في الحر قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم نار جهنم التي تصيرون إليها بمخالفتكم أشد حرا مما فررتم منه من الحر بل أشد حرا من النار كما قال الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 378

فضلت عليها بتسعة وستين جزءا أخرجاه في الصحيحين خ 3265 من حديث مالك 2994 به وقال الإمام أحمد 2244 حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار

جهنم وضربت في البحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لأحد وهذا أيضا إسناده صحيح وقد روى الإمام أبو عيسى الترمذي 2591 وابن ماجه 4320 عن عباس الدوري وعن يحيى بن أبي بكير عن شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد الله على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم ثم قال الترمذي لا أعلم أحدا يحيى كذا قال وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه عن إبراهيم بن محمد عن محمد بن الحسين بن مكرم عن عبيد الله بن سعيد عن عمه عن شريك وهو ابن عبد الله النخعي به وروي أيضا ابن مردويه من رواية مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال أصحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم نارا وقودها الناس والحجارة قال أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى احمرت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء كالليل لا يضيئ لهيها وروي الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث تمام بن نجيح وقد اختلف فيه عن الحسن عن أنس رفعه لو أن شرارة بالمشرق أي من نار جهنم لوجد حرها بالمغرب وروي الحافظ أبو يعلى 6670 عن إسحاق بن أبي إسرائيل عن أبي عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن محمد بن شبيب عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه غريب وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لمن له نعلان وشرا كان من نار جهنم يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل لا يرى أن أحدا من أهل النار أشد عذابا منه وإنه أهونهم عذابا أخرجاه في الصحيحين م 213 من حديث الأعمش وقال مسلم أيضا 211 حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا زهير بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه وقال الإمام أحمد 2438 حدثنا يحيى عن ابن عجلان سمعت أبي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا رجل يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه وهذا إسناد جيد قوي رجاله على شرط مسلم والله أعلم والأحاديث والآثار

النبوية في هذا كثيرة وقال الله تعالى في كتابه العزيز كلا إنها لظى نزاعة للشوى وقال تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق وقال تعالى إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناها جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وقال تعالى في هذه الآية الكريمة قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون أي لو أنهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل الله في الحر ليتقوا به من حر جهنم الذي هو أضعاف أضعاف هذا ولكنهم كما قال الآخر كالمستجير من الرمضاء بالنار وقال الآخر عمرك بالحمية أفنيته ثم خوفي من البارد والحر وكان أولى لك أن تتقي ثم من المعاصي حذر النار ثم قال تعالى جل جلاله متوعدا هؤلاء المنافقين على صنيعهم هذا فليضحكوا قليلا الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا وكذا قال أبو رزين والحسن وقتادة والربيع بن خثيم وعون إذنه وزيد بن أسلم وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي 4134 حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خدّاش حدثنا محمد بن حميد عن ابن المبارك عن عمران بن زيد حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتابكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 379

فتقرح العيون فلو أن سفنا أزعجت فيها لجزت ورواه ابن ماجه 4324 من حديث الأعمش عن يزيد الرقاشي به وقال الحافظ أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن العباس حدثنا حماد الجزري عن زيد بن ربيع رفعه قال إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانا ثم بكوا القيح زمانا قال فتقول لهم الخزنة يامعشر الأشقياء تركتم البكاء في الدار المرحوم فيها أهلها في الدنيا هل تجدون اليوم من تستغيثون به قال فيرفعون أصواتهم يا أهل الجنة يامعشر الآباء والأمهات والأولاد خرجنا من القبور عطاشا وكنا طول الموقف عطاشا ونحن اليوم عطاش فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم ثم يجيبهم إنكم ما كنون فيياسون من كل خير

(فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقيود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) [83]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 379

الآيات 83\9 83 يقول تعالى أمرا لرسوله عليه الصلاة والسلام فإن رجعت الله أي ردك الله في غزوتك هذه إلى طائفة منهم قال قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثنا عشر رجلا فاستأذنوك بالخروج أي معك إلى غزوة أخرى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا أي تعزيرا لهم وعقوبة ثم علل ذلك بقوله إنكم رضيتم بالقيود أول مرة وهذا كقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الآية فإن جزاء السيئة السيئة بعدها كما أن ثواب الحسنة حسنة بعدها كقوله في عمرة الحديبية سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها الآية وقوله تعالى فاقعدوا مع الخالفين قال ابن عباس أي الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة وقال قتادة فاقعدوا مع الخالفين أي مع النساء قال ابن جرير وهذا لا يستقيم لأن جمع النساء لا يكون لا يكون بالياء والنون ولو أريد النساء لقال فاقعدوا مع الخوالف أو الخالفات ورجح قول ابن عباس رض الله عنهما

(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) [84]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 379

الآيات 84\9 84 أمر الله تعالى رسول صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحد منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعوه له لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي سلوان رأس المنافقين كما قال البخاري حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خيرني الله فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر لهم وسأزيده على السبعين قال إنه منافق قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل آية

ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وكذا رواه مسلم 2774 عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة حماد بن أسامة به ثم رواه البخاري 4672 عن إبراهيم بن المنذر عن أنس بن عياض عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به وقال فصلى عليه وصلينا معه وأنزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية وهكذا رواه الإمام أحمد 218 عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله به وقد روي من حديث عمر بن الخطاب نفسه أيضا بنحو من هذا فقال الإمام أحمد 116 حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقال فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله عبد الله بن

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 380

أبي القائل يوم كذا كذا وكذا يعدد أيامه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت عليه قال آخر عني يا عمر إني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر الله الآية لو أعلم أنني لو زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشي معه وقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال فو الله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي في التفسير 3097 من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري به وقال حسن صحيح ورواه البخاري 1366 عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري به فذكر مثله وقال آخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت ولو علم أنني زدت على السبعين غفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم وقال الإمام أحمد 3371 حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبد الملك عن أبي الزبير عن جابر قال لما مات عبد الله بن أبي أتي ابنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنك إن لم تأته لم نزل نعيير بهذا فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فوجده

قد أدخل في حفرته فقال أفلا قبل أن تدخلوه فأخرج من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه إلى قدمه وألبسه قميصه ورواه النسائي عن أبي داود الحراني عن يعلى بن عبيد عن عبد الملك وهو ابن أبي سليمان به وقال البخاري 5795 حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا ابن عيينة عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعد ما أدخل في قبره فأمر به فأخرج ووضع على ركبتيه ونفت عليه من ريقه وألبسه قميصه والله أعلم وقد رواه أيضا موضع مسلم 2773 والنسائي 437 وجه عن سفیان بن عيينة به وقال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا مجالد حدثنا عامر حدثنا جابر ح وحدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الرحمن بن مغراء الدوسي حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر قال لما مات رأس المنافقين قال يحيى بن سعيد بالمدينة فأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أبي أوصى أن يكفن بقميصك وهذا الكلام من حديث عبد الرحمن بن مغراء قال يحيى في حديثه فصلى عليه وألبسه قميصه فأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وزاد عبد الرحمن وخلع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه فأعطاه إياه ومشى فصلى عليه وقام على قبره فأتاه جبريل عليه السلام لما ولى قال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وإسناده لا بأس به وما قبله شاهد له وقال الإمام أبو جعفر الطبري حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد حدثنا حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي فأخذ جبريل بثوبه وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده 4112 من حديث يزيد الرقاشي وهو ضعيف وقال قتادة أرسل عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض فلما دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم أهلكك حب زفر قال يا رسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتؤنّبني ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه إياه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية وقد ذكر بعض السلف إنما كساه قميصه لأن عبد الله بن أبي لما قدم العباس طلب له قميص فلم يوجد على تفصيله إلا ثوب عبد الله بن أبي لأنه كان ضخما طويلا ففعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم

مكافأة له فالله أعلم ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية الكريمة عليه لا يصلي على أحد من المنافقين ولا يقوم على قبره كما قال الإمام أحمد 5499 حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن أبيه حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعى إلى جنازة سأل عنها فإن أثنى عليها خيرا قام فصلى عليها وإن ذلك قال لأهلها شأنكم بها ولم يصل

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 381

عليها وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة من جهل حاله حتى يصلي عليها حذيفة بن اليمان لأنه كان يعلم أعيان المنافقين قد أخبره بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره أي من الصحابة وقال أبو عبيد في كتاب الغريب 236 في حديث عمر إنه أراد أن يصلي على جنازة رجل فمرزه حذيفة كأنه أراد أن يصده عن الصلاة عليها ثم حكى عن بعضهم أن المرز بلغة أهل اليمامة هو القرص بأطراف الأصابع ولما نهى الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار لهم كان هذا الصنيع من أكبر القربات في حق المؤمنين فشرع ذلك وفي فعله الأجر الجزيل كما ثبت في الصحاح خ 1325 م 945 وغيرها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراط قال أصغرهما مثل أحد وأما القيام ثم قبر المؤمن إذا مات فروي أبو داود 3221 حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي أخبرنا هشام عن عبد الله بن بحير عن هاني وهو أبو سعيد البربري مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل انفرد بإخراجه أبو داود رحمه الله

(ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) [85]

الآيات 85\9 85 تقدم تفسير نظير هذه الآية الكريمة ولله

الحمد والمنة

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنتك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) [86، 87]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 381

الآيات 86\9 87 يقول تعالى بنو وذاما للمتخلفين عن الجهاد
الناكلين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول واستأذنوا
الرسول في القعود وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ورضوا
لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف بعد
خروج الجيش فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس وإذا كان أمن
كانوا أكثر الناس كلما قال تعالى عنهم في الآية الأخرى فإذا
جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم ليث يغشى عليه
من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أي علت
السنتهم بالكلام الحد القوي في الأمن وفي الحرب أجبن شيء
وكما قال الشاعر أفي السلم أعيار أجفا وغلظة ثم وفي
الحرب أشباه النساء العوارك وقال تعالى في الآية الأخرى
ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف
فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم الآية وقوله وطبع
على قلوبهم أي بسبب نكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول
في سبيل الله فهم لا يفقهون أي لا يفهمون مافيه صلاح لهم
فيفعلوه ولا مافيه مضرة لهم فيجتنبوه.

**(لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم
وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون،
أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم) [88، 89]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 381

لآيات 88\9 89 لما ذكر تعالى ذم المنافقين وبين ثناءه على
المؤمنين ومالهم في آخرهم فقال لكن الرسول والذين آمنوا
معه جاهدوا إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم وقوله وأولئك
لهم الخيرات أي في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات
العلی.

**(وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب
أليم) [90]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 382

ثم بين تعالى حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد الذين جاءوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويبينون له ما هم
فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج وهم من أحياء العرب
ممن حول المدينة قال الضحاك عن ابن عباس إنه كان يقرأ
وجاء المعذرون بالتخفيف ويقرأ هم أهل العذر وكذا روي ابن

عبيبة عن حميد عن مجاهد سواء قال ابن إسحاق وبلغني أنهم نفر من بني غفار خفاف بن إيماء بن رخصة وهذا القول هو الأظهر في معنى الآية لأنه قال بعد هذا وقعد المذنب كذبوا الله ورسوله أي لم يأتوا فيعتذروا قال ابن جريج عن مجاهد وجاء المعذرون من الأعراب قال نفر من بني غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله وكذا قال الحسن وقتادة ومحمد بن إسحاق والقول الأول أظهر والله أعلم لما قدمنا من قوله بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله أي وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار ثم أوعدهم بالعذاب الأليم فقال سيصيب المذنب كفروا منهم عذاب أليم.

(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون، إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) [91- 93]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 382

الآيات 91\9 93 ثم بين تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاء في الجهاد ومنه العمي والعرج ونحوهما ولهذا بدأ به ومنها ما هو عارض بسبب مرض عن له في بدنه شغله عن الخروج في سبيل الله أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ولم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم وهم محسنون في حالهم هذا ولهذا قال ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ثمامة رضي الله عنه قال قال الحواريون ياروح الله الله أخبرنا عن الناصح لله قال الذي يؤثر حق الله على حق الناس وإذا حدث له أمران أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا وقال الأوزاعي خرج الناس إلى الإستسقاء فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر من حضر أستم مقررين بالإساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا نسمعك تقول ما على المحسنين من سبيل اللهم وقد أقررنا بالإساءة فاغفر لنا وارحمنا واسقنا ورفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقال قتادة نزلت هذه الآية في

عائذ بن عمرو المزني حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي حدثنا ابن جابر عن ابن فروة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب براءة فإني لو أضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى فقال كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى فنزلت ليس على الضعفاء الآية وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل بن مقوي المزني فقالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم والله لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه فقال ليس على الضعفاء إلى قوله فهم لا يعلمون وقال مجاهد في قوله ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم نزلت في بني مقرن من مزينة وقال محمد بن كعب كانوا سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عوف ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى ومن بني المعلي فضل الله ومن بني سلمة عمرو بن عتبة وعبد الله بن عمرو المزني وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك ثم إن رجالاً من

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 383

المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاءون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير وعليه بن زيد أخو بني بني حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة وعبد الله بن المغفل المزني وبعض الناس يقول بل هو عبد الله بن عمرو المزني وحرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعياض بن سارية الفزاري فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن الأودي حدثنا وكيع عن الربيع عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواماً ما أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً ولا نلتهم من عدو نيلاً إلا وقد شركوكم في الأجر ثم قرأ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه الآية وأصل الحديث في الصحيحين خ 2838 من حديث أنس أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ولا سرتهم سيرا إلا وهم معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر وقال الإمام أحمد 3300 حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا ولا سلكتهم طريقا إلا شركوكم في الأجر حبسهم المرض ورواه مسلم 1911 وابن ماجه 2765 من طرق عن الأعمش به ثم رد تعالى الملامة على الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء وأنهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرجال وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون.

(يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون، يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) [94- 96]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 383

الآيات 94\9 96 أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم قد نبأنا الله من أخباركم أي قد أعلمنا الله أحوالكم وسيرى الله عملكم ورسوله أي سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون أي فيخبركم بأعمالكم خيرا وشرها ويجزيكم عليها ثم أخبر عنهم أنهم سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم احتقارا لهم إنهم رجس أي خبث نجس بواطنهم واعتقاداتهم ومأواهم في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون أي من الأثام والخطايا وأخبر أنهم إن رضوا عنهم بحلفهم لهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله فإن الفسق هو الخروج ومنه سميت الفأرة فويسقة لخروجها من حبرها للإفساد ويقال سقطت الرطبة إذا خرجت من أكمامها.

(الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم، ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم، ومن الأعراب من يؤمن

**بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله
وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في
رحمته إن الله غفور رحيم) [97- 99]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 383
الآيات 97\9 99 أخبر تعالى أن في الأعراب كفارا ومنافقين
ومؤمنين وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد وأجدر أي
تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 384

أحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله كما قال
الأعمش عن إبراهيم قال جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو
يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند فقال الأعرابي
والله إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتربيني فقال زيد ما يربيك من
يدي إنها الشمال فقال الأعرابي والله ما أدري اليمين يقطعون
أو الشمال فقال زيد بن صوحان صدق الله ورسوله الأعراب
أشد كفرا ونفاقا وجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على
رسوله وقال الإمام أحمد 1357 حدثنا عبد الرحمن بن مهدي
حدثنا سفيان عن أبي موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سكن البادية جفا
ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن ورواه أبو داود
2859 والترمذي 2256 والنسائي 7195 من طرق عن سفيان
الثوري به وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث
الثوري ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله
منهم رسولا وإنما كانت البعثة من أهل القرى كما قال تعالى وما
أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى ولما أهدى
ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرد
عليه أضعافها حتى رضي قال لقد همت أن لا أقبل هدية إلا من
قريشي أو ثقيفي أو أنصاري أو دوسي لأن هؤلاء كانوا يسكنون
المدن مكة والطائف والمدينة واليمن فهم أطف أخلاقا من
الأعراب لما في طباع الأعراب من الجفاء حديث الأعرابي في
تقبيل الولد قال مسلم 2317 حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو
كريب قال ثنا أبو أسامة وابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة
قالت قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا أتقبلون صبيانكم قالوا نعم قالوا لكنا والله ما نقبل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واملئ إن كان الله نزع
منكم الرحمة وقال ابن نمير من قلبك الرحمة خ 5988 وقوله
والله عليم حكيم أي عليم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم
حكيم فيما قسم بين عباده من العلم الجهل والإيمان والكفر
والنفاق لا يسئل عما يفعل لعلمه وحكمته وأخبر تعالى أن منهم

من يتخذ ما ينفق أي في سبيل الله مغرماً أي غرامة وخسارة
ويتربص بكم الدوائر أي ينتظر بكم الحوادث والآفات عليهم دائرة
السوء أي هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم والله سميع
عليم أي سميع لدعاء عباده عليم بمن يستحق النصر ممن
يستحق الخذلان وقوله ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر
ويتخذ ما ينفق قربات ثم الله وصلوات الرسول هذا هو القسم
الممدوح من الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله
قربة يتقربون بها ثم الله ويتبعون بذلك دعاء الرسول لهم ألا إنها
قربة لهم أي إلا إن ذلك حاصل لهم سيدخلهم الله في رحمته إن
الله غفور رحيم.

**(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين
اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد
لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك
الفوز العظيم) [100]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 384

الآيات 100\9 100 يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من
المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد
لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم قال الشعبي السابقون
الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان عام
الحديبية وقال أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ومحمد
بن سيرين والحسن وقتادة هم الذين صلوا إلى القبلتين مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي
مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية والسابقون الأولون من
المهاجرين والأنصار فأخذ عمر بيده فقال من أقرأك هذا فقال
أبي بن كعب فقال لا تفارقني حتى أذهب إليه فلما جاءه قال
عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا قال نعم قال وسمعتها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال لقد كنت أرى أنا
رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبي تصديق هذه الآية في
أول سورة الجمعة وأخبرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز
الحكيم وفي سورة الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وفي
الأنفال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا معكم الآية ورواه ابن
جرير قال وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤها برفع الأنصار
عطفاً على والسابقون الأولون فقد أخبر الله العظيم أنه قد
رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين
اتبعوهم

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 385

بإحسان فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ولاسيما سيد الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وخيرهم وأفضلهم أعني والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عيادا بالله من ذلك وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله وهم متبعون ولامتبعون ويقتدون ولايبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون".

قال ابن تيمية رحمه الله: "فصل

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار سورة التوبة 100 هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين هم من صلى إلى القبلتين وهذا ضعيف فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة ولأن النسخ ليس من فعلهم الذي يفضلون به ولأن التفضيل بالصلاة إلى القبلتين لم يدل عليه دليل شرعي كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة تحت الشجرة ولكن فيه سبق الذين ادركوا ذلك على من لم يدركه كما أن الذين أسلموا قبل أن تفرض الصلوات الخمس هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم والذين أسلموا قبل أن تجعل صلاة الحضر أربع ركعات هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم والذين أسلموا قبل أن يؤذن في الجهاد أو قبل أن يفرض صيام شهر رمضان هم سابقون على من أسلم بعدهم والذين أسلموا قبل أن يفرض الحج هم سابقون على من تأخر عنهم والذين أسلموا قبل تحريم الخمر هم سابقون على من أسلم بعدهم والذين أسلموا قبل تحريم الربا كذلك فشرائع الإسلام من الإيجاب والتحريم كانت تنزل شيئا فشيئا وكل من أسلم قبل أن تشرع شريعة فهو سابق على من تأخر عنه وله بذلك فضيلة ففضيلة من أسلم قبل نسخ القبلة على من أسلم بعده هي من هذا الباب وليس مثل هذا مما يتميز به السابقون الأولون عن التابعين إذ ليس بعض هذه الشرائع بأولى بجعله خيرا من بعض ولأن القرآن والسنة قد دلا على تقديم أهل الحديبية فوجب أن تفسر هذه الآية بما يوافق سائر النصوص وقد علم بالاضطرار أنه كان في هؤلاء السابقين الأولين أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وباع النبي صلى الله

عليه وسلم بيده عن عثمان لأنه كان غائباً قد أرسله إلى أهل مكة ليلبغهم رسالته وبسببه بايع النبي صلى الله عليه وسلم الناس لما بلغه أنهم قتلوه وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وقال تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم سورة التوبة 117 فجمع بينهم وبين الرسول في التوبة وقال تعالى إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آؤا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا سورة الأنفال 72 إلى قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم سورة الأنفال 75 فأثبت الموالاة بينهم وقال للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين سورة المائدة 51 إلى قوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون المائدة 55 56 وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض سورة التوبة 71 فأثبت الموالاة بينهم وأمر بموالاتهم والرافضة تبرأ منهم ولا تتولاهم وأصل الموالاة المحبة وأصل المعاداة البغض وهم يبغضونهم ولا يحبونهم وقد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى أن هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة وهذا كذب بإجماع أهل العلم

ومنها أن الكلام في سياق النهي عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين كما يدل عليه سياق الكلام وسيجيء إن شاء الله تعالى تمام الكلام على هذه الآية فإن الرافضة لا يكادون يحتجون بحجة إلا كانت حجة عليهم لا لهم كاحتجاجهم بهذه الآية على الولاية التي هي الإمارة وإنما هي في الولاية التي هي ضد العداوة والرافضة مخالفون لها والإسماعيلية والنصيرية ونحوهم يوالون الكفار من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين ويعادون المؤمنين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين وهذا أمر مشهور فيهم يعادون خيار عباد الله المؤمنين ويوالون اليهود والنصارى والمشركين من الترك وغيرهم وقال تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين سورة الأنفال 64 أي الله كافيك وكافي من اتبعك من

المؤمنين والصحابة أفضل من اتبعه من المؤمنين وأولهم وقال تعالى إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا والذين رآهم النبي صلى الله عليه وسلم يدخلون في دين الله أفواجا هم الذين كانوا على عصره وقال تعالى هو الذي أيديكم بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم سورة الأنفال 62 63 وإنما أيده في حياته بالصحابة وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون سورة الزمر 33 35 وهذا الصنف الذي يقول الصدق ويصدق به خلاف الصنف الذي يفترى الكذب أو يكذب بالحق لما جاءه كما سنبسط القول فيهما إن شاء الله تعالى والصحابة الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن القرآن حق هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيبا بالحق من المنتسب إلى التشيع ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم ومنهم من ادعى إلهية البشر وادعى النبوة في غير النبي صلى الله عليه وسلم وادعى العصمة في الأئمة ونحو ذلك مما هو أعظم مما يوجد في سائر الطوائف واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه فيهم" (دقائق التفسير لابن تيمية ج 2 ص 205 وما بعدها)

(وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) [101]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 385

الآيات 101\9 101 يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقون وفي أهل المدينة أيضا منافقون مردوا على النفاق أي مرنوا واستمروا عليه ومنه يقال شيطان مرید وما رد ويقال تمرد فلان على الله أي عتا وتجبر وقوله لا تعلمهم نحن نعلمهم لا ينافي قوله تعالى ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقا وإن كان يراه صباحا ومساء وشاهد هذا بالصحة مارواه الإمام أحمد في مسنده 483 حيث قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة

عن النعمان بن سالم عن رجل عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة فقال لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في حجر ثعلب وأصغى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال إن في أصحابي منافقين ومعناه أنه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذي سمعه جبير بن مطعم وتقدم في تفسير قوله وهموا بما لم ينالوا أنه صلى الله عليه وسلم أعلم حذيفة بأعيان أربعة عشر أو خمسة عشر منافقا وهذا تخصيص لا يقتضي أنه يتحقق على أسمائهم وأعيانهم كلهم والله أعلم وروي الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عمر البيروتي من طريق هشام حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثني شيخ بيروت الغرماء أبا عمر أظنه حدثني عن أبي الدرداء أن رجلا يقال له مرملة أتى النبي صلى الله عليه وآله وأشار بيده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل له لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وارزقه حبي وحب من يحبني وصير أمره إلى خير فقال يا رسول الله أنه كان لي أصحاب من المنافقين وكنت رأسا فيهم أفلا أتيتك بهم قال من أتانا استغفرنا له ومن أصر فالله أولى به ولا تخرقن على أحد سترا قال وكذا رواه أبو أحمد الحاكم عن أبي بكر الباغندي عن هشام بن عمار به وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في هذه الآية أنه قال ما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري لعمرى أنت بنصيبك أعلم منك بأحوال الناس ولقد تكلفت شيئا ما تكلفه الأنبياء قبلك قال نبي الله نوح عليه السلام وما علمي بما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب عليه السلام بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم لا تعلمهم نحن نعلمهم وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان إنك منافق واخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختابا منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا واختابوا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم فجاء عمر فدخل المسجد فإذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين أبشر يا عمر قد فضح الله المنافقين اليوم قال ابن عباس فهذا

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 386

العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر وكذا قال الثوري عن السدي عن أبي مالك نحو هذا وقال مجاهد في قوله سنعذبهم مرتين يعني القتل والسبي وقال في رواية بالجوع وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم وقال ابن جريح عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم النار وقال الحسن البصري عذاب في الدنيا وعذاب في القبر وقال عبد الرحمن بن زيد أما عذاب في الدنيا فالأموال والأولاد وقرأ قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا فهذه المصائب لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر وعذاب في الآخرة في النار ثم يردون إلى عذاب عظيم قال النار وقال محمد بن إسحاق سنعذبهم مرتين قال هو فيما بلغني ما هم فيه من أمر الإسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك حسبة ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه عذاب الآخرة والخلد فيه وقال سعيد عن قتادة في قوله سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أسر إلى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتى يفضي إلى صدره وستة يموتون موتا وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات رجل ممن يرى أنه منهم نظر إلى حذيفة فإن صلى عليه وإلا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمنهم أنا قال لا ولا أومن منها أحدا بعدك.

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) [102]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 386

الآيات 102\9 102 لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذبا وشكا شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال وآخرون اعترفوا بذنوبهم أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال آخر صالح خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوذين وقد قال مجاهد إنها نزلت في أبي لبابة لما قال لبني قريظة إنه الذبيح وأشار بيده إلى حلقه وقال ابن عباس وآخرون نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال بعضهم أبو لبابة وخمسة معه وقيل وسبعة معه وقيل وتسعة معه فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله هذه الآية وآخرون اعترفوا بذنوبهم أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم وقال البخاري 4674 حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء حدثنا سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا أتاني الليلة أتيان فابتعثاني فانتبهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء قالوا لهم اذهبوا فقفوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك قالوا وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم هكذا رواه البخاري مختصراً في تفسيره هذه الآية.

(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم، ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) [103، 104]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 386
الآيات 103\9 104 أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون وإنما كان هذا الموطأ بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا احتجوا بقوله

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 387
تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤديونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقالا كانوا يؤديونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعه خ 1399 م 20 وقوله وصل عليهم أي ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه 1078 خ 1497 عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم

إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وفي الحديث الآخر أن امرأة قالت يا رسول الله صلي علي وعلى زوجي فقال صلى الله عليك وعلى زوجك وقوله إن صلاتك سكن لهم قرأ بعضهم صلواتك على الجمع وآخرون قرؤا إن صلاتك على الأفراد وسكن لهم قال ابن عباس رحمة لهم وقال قتادة وقار وقوله والله سميع أي لدعائك عليم أي بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له قال الإمام أحمد 5385 حدثنا وكيع حدثنا أبو العميس عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحيظة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا لرجل أصابته وأصابته ولده وولد ولده ثم رواه 5400 عن أبي نعيم عن مسعر عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحيظة قال مسعر وقد ذكره مرة عن حذيفة إن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لتدرك الرجل وولده وولد ولده وقوله ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات هذا تهيج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها وأخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيريها لصاحبها حتى تصير التمرة مثل أحد كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الترمذي ووكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل الصدقة ويأخذ بيمينه فيريها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى أن التمرة لتكون مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقوله يحق الله الربا ويربي الصدقات وقال الثوري والأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقد روى ابن عساکر في تاريخه في ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكي الدمشقي وأصله حمصي وكان أحد الفقهاء روى عن معاوية وغيره وحكى عنه حوشب بن سيف السكسكي الحمصي قال غزا الناس في زمان معاوية رضي الله عنه وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فغل رجل من المسلمين مائة دينار رومية فلما قفل الجيش ندم وأتى الأمير فأبى أن يقبلها منه وقال قد تفرق الناس ولن أقبلها منك حتى تأتي الله بها يوم القيامة فجعل الرجل يأتي الصحابة فيقولون له مثل ذلك فلما

قدم دمشق ذهب إلى معاوية ليقبلها منه فأبى عليه فخرج من عنده وهو يبكى ويسترجع فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكي فقال له ما يبكيك فذكر له أمره فقال له أو مطيعي أنت فقال نعم فقال اذهب إلى معاوية فقل له اقبل مني خمسك فادفع إليه عشرين ديناراً وانظر إلى الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش فإن الله يقبل التوبة عن عباده وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ففعل الرجل فقال معاوية رضي الله عنه لا أكون أفتيته بها أحب إلي من كل شيء أملكه أحسن الرجل

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) [105]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 387

الآيات 105\9 105 قال مجاهد هذا وعيد يعني من الله تعالى للمخالفين وأمره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهذا كائن لامحالة يوم القيامة كما قال يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال تعالى يوم تبلى السرائر وقال وحصل ما في الصدور وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا كما قال الإمام أحمد 328 حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 388

وسلم أنه قال لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائناً ما كان وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ كما قال أبو داود الطيالسي 1794 حدثنا الصلت بن دينار عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم فإن كان خيراً استبشروا به وإن ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك وقال الإمام أحمد 3164 أنبأنا عبد الرزاق عن سفيان عمن سمع أنساً يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا به وإن ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وقال البخاري قبل 7530 قالت عائشة رضي الله عنها إذا أعجبك حسن عمل امرئ مسلم فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقد ورد في الحديث شبيه بهذا قال الإمام أحمد 3120 حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى

تنظروا بم يختم له فإن العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من
دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا
سيئا وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه
دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا وإذا أراد الله بعبده خيرا
استعمله قبل موته قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله قال يوفقه
لعمل صالح ثم يقبضه عليه تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.
**(وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب
عليهم والله عليم حكيم) [106]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 388

الآيات 106\9 106 قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
والضحاك وغير واحد هم الثلاثة الذين خلفوا أي عن التوبة وهم
مراة بن الربيع وكعب ابن مالك وهلال بن أمية قعدوا عن غزوة
تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة ولحفظ وطيب
الثمار والظلال لاشكا ونفاقا فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم
بالسوارى كما فعل أبو لبابة وأصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم
هؤلاء الثلاثة المذكورون فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجئ
هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية وهي قوله لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وعلى الثلاثة الذين خلفوا
حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت الآية كما سيأتي بيانه في
حديث كعب بن مالك وقوله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم أي هم
تحت عفو الله إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذاك
ولكن رحمته تغلب غضبه والله عليم حكيم أي عليم بمن ممن
يستحق العفو حكيم في أفعاله وأقواله لا إله إلا هو ولا رب
سواه.

**(والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين
المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل
وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم
لكاذبون**

**لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول
يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا
والله يحب المطهرين) [107، 108]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 388

الآيات 107\9 108 مسجد الضرار سبب نزول هذه
الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب
وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه
عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير فلما تقدم رسول

الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فارا إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله عز وجل وكانت العافية للمتقين وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوق في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت ربايعته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه وتقدم أبو عامر في أول المباراة إلى قومه من الأنصار فخطبهم

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 389

واستمالهم إلى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا لا أنعم الله بك عينا يافاسق يا عدو الله ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول والله لقد أصاب قومي بعدي شر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وتمرد فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيدا طريدا فنالته هذه الدعوة وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله فلما قفل عليه السلام راجعا إلى المدينة من تبوك ولم يبقى بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة كما

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية هم أناس من الأنصار بنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجدا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتي بجند من الروم وأخرج محمدا وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعوا لنا بالبركة فأنزل الله عز وجل لاتقم فيه أبدا إلى قوله الظالمين كذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وعروة بن الزبير وغير واحد من العلماء وقال محمد بن إسحاق بن يسار 4236 عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقال يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال إني على جناح سفر وحال شغل أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عامر بن عدي أخا بلعجلان فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن انظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشندان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل والمذنب اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا إلى آخر القصة وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خدام بن خالد من بني عبد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وموالي بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف وحارثة بن عامر وابناه مجمع بن حارثة وزيد بن حارثة ونبتل بن الحارث وهم من بني ضبيعة ومخرج وهم من بني ضبيعة وبجاد بن عمران وهو من بني ضبيعة ووديعه بن ثابت وموالي بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر وقوله وليحلفن أي الذين بنوه إن أردنا إلا الحسنى أي ما أردنا ببنائه إلا خيرا ورفقا بالناس قال الله تعالى والله يشهد إنكم لكاذبون أي

فيما قصدوا وفيما نوا وإنما بنوه ضاررا لمسجد قباء وكفرا بالله
وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل
وهو أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب لعنه الله وقوله
لاتقم فيه أبدا نهى له صلى الله عليه وآله

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 390

وسلم والأمة تبع له في ذلك على أنه يقوم فيه أي يصلي أبدا ثم
حثه على الصلاة بمسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على
التقوى وهي طاعة الله وطاعة رسوله وجمعا لكلمة المؤمنين
ومعقلا وموئلا للإسلام وأهله ولهذا قال تعالى لمسجد أسس على
التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه والسياق إنما هو في
معرض مسجد قباء مسجد قباء ولهذا جاء في الحديث
الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال صلاة في
مسجد قباء كعمرة وفي الصحيح خ 1194 م 1399 أن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يزور مسجد قباء راكبا
وماشيا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لما بناه وأسس أول قدومه ونزوله على بني عمرو بن عوف كان
جبريل هو الذي عين له جهة القبلة فالله أعلم وقال أبو داود 44
حدثنا محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن يونس بن
الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نزلت
هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال كانوا
يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية رواه الترمذي 3100 وابن
ماجة 357 من حديث يونس بن الحارث وهو ضعيف وقال
الترمذي غريب من هذا الوجه وقال الطبراني 1111065 حدثنا
الحسن بن علي العمري حدثنا محمد بن حميد المرادي حدثنا
سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الأعمش عن مجاهد
عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن
يتطهروا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عويم بن
ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم فقال يا رسول
الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه أو قال
مقعدته فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو هذا وقال الإمام
أحمد 3422 حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا
شرحبيل عن عويم بن ساعدة الأنصاري أنه حدثه أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم أتاهم في مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد
أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا
الطهور الذي تطهرون به فقالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئا
إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أديبارهم من

الغائط فغسلنا كما غسلوا ورواه ابن خزيمة في صحيحه 83 وقال هشيم عن عبد الحميد المدني عن إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة ما هذا الذي أثنى الله عليكم فيه رجال يحبون أن يتطهروا الآية قالوا يا رسول الله إنا نغسل الأذبار بالماء وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمارة الأسدي حدثنا محمد بن سعد عن إبراهيم بن محمد عن شرحبيل بن سعد قال سمعت خزيمة بن ثابت يقول نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين قال كانوا يغسلون أديبارهم من الغائط حديث آخر قال الإمام أحمد بن حنبل 66 حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك يعني ابن مغول سمعت سيارا أبا الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال لقد قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني قباء فقال إن الله عز وجل قد أثنى عليكم في الطهور خيرا أفلا تخبروني يعني قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا فقالوا يا رسول الله إنا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء وقد صرح جماعة من السلف بأنه مسجد قباء رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير وقاله عطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والشعبي والحسن البصري ونقله البغوي عن سعيد بن جبير وقتادة وقد ورد في الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس على التقوى وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده 5116 حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا تفرد به أحمد حديث آخر قال الإمام أحمد 5331 حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد الساعدي قال اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 391

هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو هو مسجد قباء فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هو مسجدي هذا تفرد به أحمد أيضا حديث آخر قال الإمام أحمد

389 حدثنا موسى بن داود حدثنا ليث عن عمران بن أبي أنس عن سعيد بن أبي سعيد الخدري قال تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال أحدهما هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا تفرد به أحمد طريق أخرى قال الإمام أحمد 37 حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا ليث حدثني عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد عن أبيه أنه قال تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال أحدهما هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى وكذا رواه الترمذي 3099 والنسائي كبرى 11228 عن قتيبة عن الليث وصححه الترمذي ورواه مسلم كما سيأتي طريق أخرى قال الإمام أحمد 323 حدثنا يحيى عن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال سمعت أبا سعيد الخدري قال اختلف رجلان رجل من بني خدره ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال العمري هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو هذا المسجد لمسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال في ذلك يعني مسجد قباء طريق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن أنيس قال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حميد الخراط المدني سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى فقال إني أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه فقلت يا رسول الله أين المسجد الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصياء فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا ثم قال سمعت أباك يذكره رواه مسلم 1398 منفردا به عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد به ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن حاتم بن إسماعيل عن حميد الخراط به وقد قال بأنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف وهو مروى عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب واختاره ابن جرير وقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده

لا شريك له وعلى استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين والعباد العاملين المحافظين على إسباغ الوضوء والتنزه عن ملابس القاذورات وقد قال الإمام أحمد 3471 حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شيبا أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرا الروم فيها فأوهم فلما انصرف قال انه يلبس علينا القرآن إن أقواما منكم لا يحسنون الوضوء فمن شهد فليحسن الوضوء ثم رواه من طريقين آخرين عن عبد الملك بن عمير عن شيب أبي روح من ذي الكلاع أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكره فدل هذا على أن إكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة ويعين على إتمامها وإكمالها والقيام بمشروعاتها وقال أبو العالية في قوله تعالى والله يحب المطهرين إن الطهور بالماء لحسن ولكنهم المطهرون من الذنوب وقال الأعمش التوبة من الذنب والتطهر من الشرك وقد ورد في الحديث المروي من طرق في السنن وغيرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء قد أثنى الله عليكم في الطهور فماذا تصنعون فقالوا نستنجي بالماء وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال وجدته في كتاب أبي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نتبع الحجارة بالماء رواه البزار ثم قال تفرد به محمد بن عبد العزيز عن الزهري ولم يرو عنه سوى ابنه قلت وإنما ذكرته بهذا تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 392

اللفظ لأنه مشهور بين الفقهاء كثير من المحدثين المتأخرين أو كلهم والله أعلم.

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين، لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) [109، 110]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 392
 الآيات 109\9 110 يقول تعالى لا يستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ومن بنى مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وإنما يبني هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هار أي طرف حفيرة

مثالة في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يصلح عمل المفسدين قال جابر بن عبد الله رأيت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج ذكر لنا أن رجلا حفرها فوجدوا المدخان يخرج منه وكذا قال قتادة وقال خلف بن ياسين الكوفي رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة رواه ابن جرير رحمه الله وقوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي شكا ونفاقا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع أورتهم نفاقا في قلوبهم كما أشرب عابدو العجل حبه وقوله إلا أن تقطع قلوبهم أي بموتهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم والسدي وحبيب بن أبي ثابت والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف والله عليم أي بأعمال خلقه حكيم في مجازاتهم عنها من خير وشر.

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)[111]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 392

الآيات 111\9 111 يخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوا في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه وإحسانه فإن قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبده المطيعين له ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم والله فأغلى ثمنهم وقال شمر بن عطية ما من مسلم إلا ولله عز وجل في عنقه بيعة وفي بها أو مات عليها ثم أصحابها هذه الآية ولهذا يقال من حمل في سبيل الله بايع الله أي قبل هذا العقد ووفي به وقال محمد بن كعب القرظي وغيره قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ليلة العقبة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك قال الجنة قالوا ربح المبيع لا نقيلا ولأنستقيل فنزلت إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية وقوله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون أي سواء قتلوا أو قتلوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة ولهذا جاء في الصحيحين خ 3123 م 1876 وتكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي

وتصديق برسلي بأن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة وقوله وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن تأكيد لهذا الوعد وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة وأنزله على رسله في كتبه الكبار وهي التوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل على عيسى والقرآن المنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله ومن أوفى بعهد من الله فإنه لا يخلف الميعاد هذا كقوله ومن أصدق من الله حديثاً ثم ومن أصدق من الله قيلاً ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 393

الفوز العظيم أي فليستبشروا من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم.

قال ابن القيم رحمه الله:

(وأخبر سبحانه أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة التوبة 110 وأغاضهم عليها الجنة وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحداً أوفى بعهد من الله تعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقده عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم فليتأمل العاقد ربه عقد هذا التباع ما أعظم خطره وأجله فإن الله عز وجل هو المشتري والتمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطب جسيم قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة بالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين المائدة 54 لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البيئة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرفة الشجي فتتوع المدعون في الشهود فليل لا تثبت هذه الدعوى إلا بينة قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله آل عمران 31 فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله

وهدية وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة وقيل لا تقبل العدالة إلا
بتزكية يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
المائدة 54 فتأخر أكثر المدعين للمحبة وقام المجاهدون فقيل
لهم إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فسلموا ما وقع عليه
العقد فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة وعقد التبايع يوجب التسليم من الجانبين فلما رأى التجار
عظمة المشتري وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبايع
على يديه ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد عرفوا أن
للسلعة قدرا وشأننا ليس لغيرها من السلع فرأوا من الخسران
البين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة
تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تبعثها وحسرتها فإن فاعل ذلك
معدود في جملة السفهاء فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان
رضى واختيارا من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقيلك ولا
نستقيلك فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت
أنفسكم وأموالكم لنا والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت
وأضعاف أموالكم معها ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون آل عمران 69 لم
نتع منكم نفوسكم وأموالكم طلبا للربح عليكم بل ليظهر أثر
الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أجل الأثمان ثم
جمعنا لكم بين الثمن والمثمن تأمل قصة جابر بن عبدالله وقد
اشترى منه بغيره ثم وفاه الثمن وزاده ورد عليه البعير وكان أبوه
قد قتل مع النبي في وقعة أحد فذكره بهذا الفعل حال أبيه مع
الله وأخبره أن الله أحياه وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي
فسبحان من عظم جوده وكرمه أن يحيط به علم الخلائق فقد
أعطى السلعة وأعطى الثمن ووفق لتكميل العقد وقبل المبيع
على عيبه وأعاض عليه أجل الأثمان واشترى عبده من نفسه
بماله وجمع له بين الثمن والمثمن وأثنى عليه ومدحه بهذا العقد
وهو سبحانه الذي وفقه له وشاءه منه
فحيهلا إن كنت ذا همة فقد حدا بك حادي الشوق فاطو
المراحلا

وقل لمنادي حبههم ورضاهم إذا ما دعا لبيك ألفا كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن نظرت إلى الأطلال عدن
حوائلا

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهم زادا إليهم وسر على طريق الهدى والحب تصبح
وأصلا

وأحي بذكرهم شرك إذا دنت ركابك فالذكرى تعيدك عاملا

وإما تخافن الكلال فقل لها أمامك ورد الوصل فابغي المناهلا
وخذ قبسا من نورهم ثم سر به فنورهم يهديك ليس المشاعلا
وحي على وادي الأراك فقل به عساك تراهم ثم إن كنت قائلا
وإلا ففي نعمان عندي معرف ال فاطلبهم إذا كنت سائلا
وإلا ففي جمع بليته فإن تفت فمنى يا ويح من كان غافلا
وحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى بها كنت نازلا
ولكن سباك الكاشحون لأجل ذا وقفت على الأطلال تبكي
المنازلا

وحي على يوم المزيد بجنة ال خلود فجد بالنفس إن كنت
بازلا

فدعها رسوما دارسات فما بها مقيل وجاوزها فليست منازل
رسوما عفت ينتابها الخلق كم بها قتيل وكم فيها لذا الخلق
قاتلا

وخذ يمينة عنها على المنهج الذي عليه سرى وفد الأحبة أهلا
وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعة فعند اللقا ذا الكد يصبح
زائلا

فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويصبح ذو الأحزان فرحان جازلا
لقد حرك الداعي إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبية والههم
العالية وأسمع منادي الإيمان من كانت له أذن واعية وأسمع الله
من كان حيا فهزه السماع إلى منازل الأبرار وحدا به في طريق
سيره فما حطت به رحاله إلا بدار القرار(زاد المعاد ج 3 ص
72-76)

**(التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) [112]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 393

الآيات 112\9 112 هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله
منهم أنفسهم وأموالهم الجميلة والخلال الجليلة التائبون من
الذنوب كلها التاركون للفواحش العابدون أي القائمون بعبادة
ربهم محافظين عليها وهي الأقوال والأفعال فمن أخص الأقوال
الحمد فلهذا قال الحامدون ومن أفضل الأعمال الصيام وهو ترك
الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة ههنا
ولهذا قال السائحون كما وصف أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك في قوله تعالى سائحات أي صائمات وكذا الركوع
والسجود وهما عبارة عن الصلاة ولهذا قال الراكعون الساجدون
وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله
بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله

ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علما وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ولهذا قال وبشر المؤمنين لأن الإيمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به بيان بأن المراد بالسياحة الصيام قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال السائحون الصائمون وكذا روي عن سعيد بن جبير والعمري عن ابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كل ما ذكر الله في القرآن السياحة هم الصائمون وكذا قال الضحاك رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد حدثنا إبراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة رضي الله عنها قالت سياحة هذه الأمة الصيام وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعبد الرحمن السلمي والضحاك بن مزاحم وسفيان بن عيينة وغيرهم أن المراد بالسائحين الصائمون وقال الحسن البصري السائحون الصائمون شهر رمضان وقال أبو عمرو العبيدي السائحون الذين يديمون الصيام من المؤمنين وقد ورد في حديث تزوجها نحو هذا وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائمون وهذا الموقوف أصح وقال أيضا حدثني يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون وهذا مرسل جيد وهذا أصح الأقوال وأشهرها وجاء ما يدل على أن السياحة الجهاد وهو ما روى أبو داود في سننه 2486 من حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله أئذن لي في السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة أخبرني عمارة بن غزية أن السياحة ذكرت ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف وعن عكرمة أنه قال هم طلبة العلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المهاجرون رواهما ابن أبي حاتم وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض والتفرد في شواهد الجبال والكهوف والبراري فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وقال العمري وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله

والحافظون لحدود الله قال القائمون بطاعة الله وكذا قال الحسن البصري وعنه رواية الحافظون لحدود الله قال لفرائض الله وفي رواية القائمون على أمر الله.

(ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم

وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حلیم) [113، 114]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 394

قال الإمام أحمد 5533 حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه قال لما عملا أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها ثم الله عز وجل فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم قال ونزلت فيه إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه خ 1360 م 24 وقال الإمام أحمد 199 حدثنا يحيى بن آدم أخبرنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي رضي الله عنه قال سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية قال لما مات فلا أدري قاله سفيان أو قاله إسرائيل أو هو في الحديث لما مات قلت هذا ثابت عن مجاهد أنه قال لما مات وقال الإمام أحمد 5355 حدثنا الحسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا زيد بن الحارث الياامي عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في سفر فنزل بنا ونحن قريب من ألف راكب فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والأم وقال يا رسول الله مالك قال إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي فدمعت عيناى رحمة لها من النار وإني كنت نهيتكم عن ثلاث نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيرا ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا

وامسكوا ما شئتم ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكرا وروى ابن جرير من حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قبر والحاصل إليه فجعل يخاطب ثم قال مستعبرا فقلنا يا رسول الله إنا ربنا ما صنعت قال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فما روي باكيا أكثر من يومئذ وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا خالد بن خدّاش حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن جريح عن أيوب بن هانئ عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك قال إن القبر الذي جلست عنده قبر أمنة وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي ثم أوردته من وجه آخر ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريبا منه وفيه وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فأخذني ما يأخذ الولد للوالد وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة حديث آخر في معناه قال الطبراني 1112049 حدثنا محمد بن علي المروزي حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلا ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه وبكى هؤلاء لبكائه وقالوا ما بكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد أحدث في أمته شيئا لا تطيقه فلما بكى بكى هؤلاء معه قام فرجع إليهم فقال ما يبكيكم قالوا يا نبي الله بكينا لبكائك فقلنا لعله أحدث في أمتك شيئا لا تطيقه قال لا وقد كان بعضه ولكن نزلت على قبر أمي فسألت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فأبى الله أن يأذن لي فرحمتها وهي أمي فبكيته ثم جاءني جبريل فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه فرحمتها وهي أمي

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 395

ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعا فرفع عنهم اثنين وأبى أن يرفع عنهم اثنين دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء

والغرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس
بعض فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض وأبى
أن يرفع عنهم القتل والهرج وإنما عدل إلى قبر أمه لأنها كانت
مدفونة تحت كداء وكانت عسفان لهم وهذا حديث غريب وسياق
عجيب وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في
كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه
قصة أن الله أحيا أمه فأمنت ثم عادت وكذلك ما رواه السهيلي
في الروض 1113 بسند فيه جماعة مجهولون إن الله أحيا له
أباه وأمّه فأمنا به وقد قال الحافظ ابن دحية في هذا الاستدلال
بما حصله أن هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيبوتها
وصلى على العصر قال الطحاوي وهو حديث ثابت يعني حديث
الشمس قال القرطبي فليس إحياءهما يمتنع عقلا ولا شرعا قال
وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب فأمن به قلت وهذا كله
متوقف على صحة الحديث فإذا صح فلا مانع منه والله أعلم
وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد
أن يستغفر لأمه فنهاه الله عز وجل عن ذلك فقال إن إبراهيم
خليل الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر لأبيه فأنزل الله وما
كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه الآية وقال
علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية كانوا يستغفرون
لهم حتى نزلت هذه الآية فأمسكوا عن الاستغفار لمواتهم ولم
ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله وما كان
استغفار إبراهيم لأبيه الآية وقال قتادة في الآية ذكر لنا أن رجلا
من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا يانبي الله إن
من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني
ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم قال فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بلى والله إنني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه
فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
حتى بلغ قوله الجحيم ثم عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام
فقال ما كان استغفار إبراهيم لأبيه الآية قال وذكر لنا أن نبي الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال قد أوحى الله إلي كلمات فدخلن
في أذني ووقرن في قلبي أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا
ومن أعطي فضل ماله فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا
يلوم الله على كفاف وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال مات رجل زفر وله ابن مسلم فلم
يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال فكان ينبغي له أن يمشي
منه ويدفنه ويدعو له بالصالح مادام حيا فإذا مات وكله إلى شأنه

ثم قال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلى قوله تبرأ منه لم يدع وشهد له بالصحة مارواه أبو داود 3214 وغيره عن علي رض الله عنه لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني فذكر تمام الحديث وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما مرت به جنازة عمه أبي طالب قال وصلتك رحم ياعم وقال عطاء بن أبي رباح ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حبشية حبلي من الزنا لأنني لم أسمع الله حجب الصلاة إلا عن المشركين يقول الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروي ابن جرير عن ابن وكيع عن أبيه عن عصمة بن وامل عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه قلت ولأبيه قال لا قال إن أبي مات مشركا وقوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال ابن عباس مازال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وفي رواية لما مات تبين له أنه عدو لله وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم رحمهم الله وقال عبيد بن عمير وسعيد بن جبير إنه يتبرأ منه يوم القيامة حين يلقي أباه وعلى وجه أبيه القفرة والغبرة فيقول يا إبراهيم إني كنت أعصيك وإني اليوم لا أعصيك فيقول أي رب ألم تعدني أن لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي أخزي من أبي الأبعد فيقال انظر إلى ما وراءك فإذا هو بذيخ متلطح أي قد مسخ ضبعانا ثم يسحب بقوائمه ويلقى في النار وقوله إن إبراهيم لأواه حليم قال سفيان الثوري وغير واحد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود أنه قال الأواه الدعاء وكذا روى عنه ابن مسعود وقال ابن جرير

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 396

حدثني المثنى حدثنا الحجاج بن منهال حدثني عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس قال رجل يا رسول الله ما الأواه قال المتضرع قال إن إبراهيم لأواه حليم ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام به ولفظه قال الأواه المتضرع الدعاء وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود عن الأواه فقال هو الرحيم وبه قال مجاهد وأبي ميسرة عمرو بن شرحبيل والحسن البصري وقتادة وغيرهما أي الرحيم أي بعباد الله وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الأواه الموقن بلسان الحبشة وكذا قال العوفي عن ابن عباس أنه

الموقن وكذا قال مجاهد والضحاك وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عباس الأواه المؤمن زاد علي بن أبي طلحة عنه هو المؤمن التواب وقال العوفي عنه هو المؤمن بلسان الحبشة وكذا قال ابن جريح هو المؤمن بلسان الحبشة وقال الإمام أحمد 4159 حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو النجادين إنه أواه وذلك أنه رجل كان إذا ذكر الله في القرآن رفع صوته في الدعاء ورواه ابن جرير وقال سعيد بن جبير والشعبي الأواه المسبح وقال ابن وهب عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفيير عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال المحافظ على سبحة الضحى إلا أواه وقال شفي أين ماع عن أبي أيوب الأواه الذي إذا ذكر خطاياهم استغفر منها وعن مجاهد الأواه الحفيظ الرجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن حجاج عن الحكم عن الحسن بن مسلم بن بنان أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه أواه وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان حدثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دفن ميتا فقال رحمك الله إن كنت لأواها يعني تلاء للقرآن وقال شعبة عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة وكان أصله روميا وكان قاصا يحدث عن أبي ذر قال كان رجل يطوف بالبيت الحرام ويقول في دعائه أوه أوه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه أواه قال فخرجت ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح هذا حديث غريب رواه ابن جرير ومشاها وروي عن كعب الأحبار أنه قال سمعت إن إبراهيم لأواه قال كان إذا ذكر النار قال أوه من النار وقال ابن جريح عن ابن عباس إن إبراهيم لأواه قال فقيه قال الإمام أبو جعفر بم جرير أولى الأقوال قول من قال إنه الدعاء وهو المناسب للسياق وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدّها إياه وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليما عن ظلمه وأناله مكروها ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله أرأغب أنت عن الهي يا إبراهيم ثم لئن لم تنته لأرجمنك وأهجرني مليا ثم قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيّا فحلم عنه مع أذاه له ودعا له واستغفر ولهذا قال تعالى إن إبراهيم لأواه حليم.

(وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم، إن الله له ملك السماوات والأرض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) [115، 116]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 396
الآيات 115\9 116 يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل إنه لا يضل قوما إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى فأما ثمود فهديناهم الآية وقال مجاهد في قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم الآية قال بيان الله عز وجل للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا أو ذروا وقال ابن جرير يقول الله تعالى وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوه فأما قبل أن يبين لكم كراهة ذلك بالنهي عنه فلم تضيعوا نهيه إلى ما نهاكم عنه فإنه لا يحكم عليكم بالضلال فإن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 397
والمنهي وأما من لم يؤمر ولم كائن مطيعا أو عاصيا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه وقوله تعالى إن الله له ملك السماوات والأرض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقال ابن جرير هذا تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر وأنهم يثقوا بنصر الله مالك السماوات والأرض ولم يرهبوا من أعدائه فإنه لاولى لهم من دون الله ولا نصير لهم سواه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه إذ قال لهم هل تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تثط وما فيها من موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم وقال كعب الأحبار ما من موضع خرمة إبرة من الأرض إلا وملك موكل بها يرفع علم ذلك إلى الله وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مخه مسيرة مائة عام.

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب

فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم] [117

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 397
الآيات 117\9 117 قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد ظاهرا قال قتادة خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد ما أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العمرة فقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصبنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا فقال تحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سألت السماء فأظلت ثم سكبت فملأوا مامعهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدهاجاوزت العسكر وقال ابن جرير في قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة أي من النفقة والظهر والزاد ظاهرا من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم أي عن الحق ويشك في دين الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم ثم تاب عليهم يقول ثم رزقهم الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه إنه بهم رؤوف رحيم.

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) [118، 119]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 397

الآيات 118\9 119 الأحاديث الواردة في الثلاثة الذين خلفوا
قال الإمام أحمد 3456 حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي
الزهري محمد بن عبد الله عن عمه محمد بن مسلم الزهري
أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله
بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال
سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال كعب بن مالك لم

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 398

أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة غزاهها قط
إلا في غزاة أني كنت تخلفت في غزاة بدر ولم بعاتب أحد تخلف
عنها وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير
قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم ميعاد ولقد شهدت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توثقنا على
الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في
الناس منها وأشهر وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن أقوى ولا أيسر
مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما جمعت قبلها
راحتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى غيرها حتى
كانت تلك الغزوة فغزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في
حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فخلى
للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم وجهه الذي يريد
والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم
كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب إلا
ظن أن ذلك سيخفي عليه ما لم ينزل فيه وحي من الله عز
وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين
طابت الثمار والظلال وأنا إليها أصعر فتجهز إليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فطفقت أجدو لكي أتجهز
معهم فأرجع ولم أقض من جهازي شيئا فأقول لنفسي أنا قادر
على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى شمر بالناس
الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون
معهم ولم أقض من جهازي شيئا رجاء أتجهز بعد يوم أو يومين ثم
ألحقه فعدوت بعد ماصلوا لا تجهز فرجعت ولم أقض من جهازي
شيئا ثم عدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادي بي
حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فألحقهم وليتني
أنني فعلت ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت إذا خرجت في الناس
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى إلا رجلا

مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذره الله عز وجل ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة حبسه يا رسول الله برده والنظر في عطفه فقال معاذ بن جبل بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضر بيثي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادمًا زاح عني الباطل وعرفت أنني لم أنج منه بشيء أبدا فأجمعت صدقه فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ويستغفر لهم ويكل سرايرهم إلى الله تعالى حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد اشتريت ظهرك فقلت يا رسول الله إني لو جلست ثم غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه إني لأرجو عقي ذلك من الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كانت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمتم وقام إلي رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت إلا أن تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي معي هذا أحد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت فمن هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي فقال ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى

تنكرت في نفسي الأرض فما هي وضوء التي كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما بيكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة الراوي وأقول في نفسي أحر ك شفثيه برد السلام على أم لائم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فو الله ما رد علي السلام فقلت له يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله قال فسكت قال فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فسكت فقال الله ورسوله أعلم قال ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا أنا بنبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل علي كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً فإذا فيه أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك وأن الله لم يجعلك في دار هوان ولا مضيفة فألحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذا أيضا من البلاء قال فتممت به التنوير فسجرت به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني يقول يأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل فقال بل اعتزلها ولا تقربها قال وأرسل إلي صاحبي بمثل ذلك قال فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلالاً شيخ ضعيف ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت وإنه والله ما به من حركة إلى شيء وإنه والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لأمرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته وأنا رجل شاب قال فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي

ذكر الله تعالى منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت على الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته أبشر يا كعب بن مالك قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي منشرون وركض إلى رجل فرسا وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني نزعته له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته له والله ما أملك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجا فوجا يهنؤني بتوبة الله يقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد والناس حوله فقام إلي طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من ثم الله قال لا بل من ثم الله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله قال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فأنى أمسك سهمي الذي بخير رجاء يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت قال فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا وإنني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي قال وأنزل الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 400

قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم ثم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ثم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين إلى آخر الآيات قال كعب فوالله

ما أنعم الله علي نعمة قط بعد أن هداني للاسلام أعظم في نفسي من من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله تعالى قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله تعالى سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس وماوأهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ثم يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال وكنا أيها الثلاثة الذين خلقنا عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه فلذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلقنا بتخليفنا عن الغزو وإنما عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحبها الصحيح البخاري 4418 ومسلم 2769 من حديث الزهري بنحوه فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها وكذا روى واحد من السلف في تفسيرها كما رواه الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هم كعب بن مالك وهلان بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد وكلهم قال مرارة بن ربيعة وفي رواية سعيد بن جبير ربيع بن مرارة وقال الحسن البصري ربيع بن مرارة أو مرارة بن ربيع وفي رواية عن الضحاك مرارة بن الربيع كما وقع في الصحيحين وهو الصواب وقوله فسموا رجلين شهدا بدرا قيل إنه خطأ من الزهري فانه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرا والله أعلم ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحو من خمسين ليلة بإيامها وضائق عليهم أنفسهم وضائق عليهم الأرض بما رحبت أي مع سعتها فسددت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تخلفهم وأنه كان عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم ولهذا قال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب ثم الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب ثم الله كذابا أخرجاه في الصحيحين خ 6094 م 2607 وقال شعبة عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال الكذاب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرأوا إن شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هكذا قرأها ثم قال فهل تجدون لأحد فيه رخصة وعن عبد الله بن عمر في قوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال الضحاک مع أبي بكر وعمر وأصحابهما وقال الحسن البصري إن أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة.

(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يبطؤون موطنًا يغيب الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) [120]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 401

يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقة فأنهم نقصوا أنفسهم من الأجر لأنهم لا يصيبهم ظمأ وهو العطش ولا نصب وهو التعب ولا مخمصة وهي المجاعة ولا يبطؤون موطنًا يغيب الكفار أي ينزلون منزلا يرهب عدوهم ولا ينالون منه ظفرا وغلبة عليه إلا كتب لهم بهذه الأعمال التي ليست داخلية تحت قدرهم وإنما هي ناشئة عن أفعالهم أعمالا صالحة وثوابا جزيلًا إن الله لا يضيع أجر المحسنين كقوله إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا.

(ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) [121]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 401

الآيات 121\9 121 يقول تعالى ولا ينفقون هؤلاء الغزاة في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة أي قليلا ولا كثيرا ولا يقطعون

واديًا أي في السير إلى الأعداء إلا كتب لهم ولم يقل ههنا به لأن هذه أفعال صادرة عنهم ولهذا قال ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة كما قال عبد الله بن الإمام أحمد 475 حدثنا أبو موسى 2 العنزي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني سكن بن المغيرة حدثني الوليد بن أبي هاشم عن فرقد أبي طلحة عن عبد الرحمن بن خباب السلمي قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه على مائة بغير بأحلاسها وأقتابها قال ثم حث فقال عثمان على مائة بغير أخرى بأحلاسها وأقتابها ثم قال نزل مرقاة من المنبر قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيده هكذا يحركها وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب ما على عثمان ما عمل بعد هذا وقال عبد الله أيضا 563 حدثنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة حدثنا عبد الله بن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة قال فصحبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقلبها بيده ويقول ماضر بن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا وقال قتادة في قوله تعالى ولا يقطعون واديًا إلا كتب لهم الآية ما ازداد قوم في سبيل الله بعدا من أهليهم إلا ازدادوا قربا من الله

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) [122]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 401

الآيات 122\9 122 هذا بيان من الله تعالى لما أراد من نفي الأحياء مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فإنه قد ذهب طائفة من السلف إلى أنه كان يجب النفي على كل مسلم إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى انفروا خفافا وثقالا وقال ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب الآية قال فنسخ ذلك بهذه الآية وقد يقال إن هذا بيان لمراده تعالى في نفي الأحياء كلها وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي

عليه وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو فيجتمع لهم الأمران في هذا النفير المعين وبعده صلى الله عليه وسلم تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه وإما للجهاد فإنه فرض كفاية على الأحياء وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا لا يسيروا

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 402

إلا بأذنه فإذا رجعت السرايا وقد أنزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا أخرى فذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يخبرون الخبير ليتفقهوا في الدين وليستمعوا ما في الناس وما أنزل الله فعذرهم ولينذروا قومهم الناس كلهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وقال قتادة في الآية هذا إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش أمرهم الله أن يغزوا بنبيه صلى الله عليه وسلم وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتفقه في الدين وتتطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل الأعداء وكان إذا قام وأسرى السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا إلا بأذنه وكان الرجل إذا أسرى فنزل بعده قرآن وتلاه نبي الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه القاعدين معه فإذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرئونهم ويفقهونهم في الدين وهو قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول إذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني بذلك أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا

جميعا ونبي الله صلى الله عليه وسلم قاعد ولكن إذا قعد نبي الله فسرت السرايا وقعد معه عظم الناس وقال علي بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس في الآية قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة إنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فأنزل الله تعالى يخبر رسوله أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائرتهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم الآية وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية كان ينطلق من كل حي من العرب عصاة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا بما تأمر به عشائرتنا إذا قدمنا عليهم قال فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله وبيعتهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا إذا أتوا قومهم قالوا إن من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرهم قومهم فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ثم وما كان لأهل المدينة الآية قال المنافقون هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه وقد كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم فأنزل الله عز وجل وما كان للمؤمنين أن ينفروا كافة الآية ونزلت والمذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داخضة ثم ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد وقال الحسن البصري في الآية ليتفقه الذين خرجوا بما يردهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. **(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) [123]**

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 402
 آيات 123\9 123 أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن

واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 403

الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل الكتاب فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجذب البلاد وضيق الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجه بأحد وثمانين يوما فاختره الله لما عنده وقال بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد مال المدين ميلة كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به فوطد القواعد وثبت الدعائم ورد شارذ الدين وهو راغم ورد أهل الردة إلى الإسلام وأخذ الزكاة ممن منعها من الطعام وبين الحق لمن جهله وأدى عن الرسول ما حمله ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصليبان وإلى الفرس عبدة النيران ففتح الله ببركة سفارته البلاد وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده وولي عهده الفاروق الأبواب شهيد المحراب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرغم الله أنوف الكفرة الملحدين وقمع الطغاة المنافقين واستولى على الممالك شرقا وغربا وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدا وقربا ففرقها على الوجه الشرعي والسبيل المرضي ثم لما مات كلاهما وقد عاش حميدا أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار فكسى الإسلام رياسة حلة سابعة وامتدت الدعوة في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمة الله وظهر دينه وبلغت الملة الحنيفة من أعداء الله غاية مآربها وكلما علوا أمة انتقلوا إلى بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار امتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقوله تعالى غلظة أي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين

واغلظ عليهم وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا الضحوك القتال يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتال لهامة عدوه وقوله واعلموا أن الله مع المتقين أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار ثم لما وقعت الفتن والأهواء والإختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد وتقدموا إليها فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانا كثيرة ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام ولله الأمر من قبل ومن بعد فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله والله المسؤل المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم إنه جواد كريم.

(وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) [124، 125]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 403

الآيات 124\9 125 يقول تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمن المنفقين من يقول أيكم زادته هذه إيمانا أي يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء بل قد واحد الإجماع على ذلك وقد بسط الكلام على هذه المسألة في أول شرح البخاري رحمه الله وأما الذين في قلوبهم مرض

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 404

فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي زادتهم شكا إلى شكهم وربيا إلى ربهم كما قال تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء الآية وقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد وهذا من جملة شقاقهم أن ما يهدي القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم كما أن سئ المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلا خبالا ونقصا.

(أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون، وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) [126، 127]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 404

الآيات 126\9 127 يقول تعالى أو لا يرى هؤلاء المنافقون أنهم يفتنون أي يختبرون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون أي لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم قال مجاهد يختبرون بالسنة والجوع وقال قتادة بالغزو في السنة مرة أو مرتين وقال شريك عن جابر عن الجعفي عن أبي الضحى عن حذيفة في قوله أو أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين قال كنا نسمع في كل كذبة أو كذبتين فيضل بها فئام من الناس كثير رواه ابن جرير وفي الحديث عن أنس لا يزداد الأمر إلا شدة ولا يزداد الناس إلا شحا وما من عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقوله وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون هذا أيضا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم إلى بعض أي تلفتوا هل يراكم من أحد ثم انصرفوا أي تولوا عن الحق وانصرفوا عنه وهذا حالهم في الدنيا لا يثبتون ثم الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كقوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وقوله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ثم عن اليمين وعن الشمال عزين أي ما لهؤلاء القوم يتفللون عنك يمينا وشمالا هروبا من الحق وذهابا إلى الباطل وقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون أي لا يفقهون عن الله خطابه ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه بل هم في شغل عنه ونفور منه فلهذا صاروا إلى ما صاروا إليه.

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) [128، 129]

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 404

129 يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال تعالى لقد من الله

على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وذكر الحديث خ 3159 بنحوه وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقال صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وقد وصل هذا من وجه آخر كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في كتابه الفاصل بين الراوي والواعي 562 حدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد حدثنا ابن أبي عمر حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال أشهد على أبي لحدثني عن أبيه عن جده عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يمسنني سفاح الجاهلية شيء وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال بعثت بالحنيفية السمحة وفي الصحيح 39 إن

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 405

هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على يسرها الله تعالى عليه حريص عليكم أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم وقال الطبراني 1647 حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر قال تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقرب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم وقال الإمام أحمد 1390 حدثنا قطن حدثنا المسعودي عن الحسن بن سعد عن عبدة النهدي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ألا وإني آخذ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت بالحق أو الذباب وقال الإمام أحمد 1267 حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جعدان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعدهما ثم رجليه والآخر ثم رأسه فقال الذي ثم رجليه للذي ثم رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال إن مثله ومثل

أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال أرايتم إن وردت بكم رياضا معشبة حياضا رواء تتبعوني فقالوا نعم قال فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم ألكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعوني فقالوا بلى فقال فإن بين أيديكم رياضا هي أعشب من هذه وحياضا هي أورى من هذه فاتبعوني فقالت طائفة صدق والله لتتبعنه وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه وقال البزار 2476 حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قالا حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه في شيء قال قال في دم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أن كفوا فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال إنما جئنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وقال أحسنت إليك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا قال النبي صلى الله عليه وسلم إنك جئتنا فتسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم فقال نعم فلما جاء الأعرابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال وأنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي كذلك يا أعرابي فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها فلم يزيدوها إلا نفورا فقال لهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قمام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وغني لو أطعتم حين قال ما قال لدخل النار رواه البزار ثم قال لا نعلمه يروي إلا من هذا الوجه قلت وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان والله أعلم وقوله بالمؤمنين رءوف رحيم كقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ثم فإن عصوك فقل إنني برئ مما تعملون ثم وتوكل على العزيز الرحيم وهكذا أمره تعالى في هذه الآية الكريمة

وهي قوله تعالى فإن تولوا أي تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة فقل حسبي الله لا إله إلا هو أي الله كافي لا إله إلا هو عليه توكلت كما قال تعالى رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا وهو رب العرش العظيم أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدره الله تعالى وعلمه محيط بكل شيء قدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل قال الإمام أحمد 5117 حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا بشر بن عمر حدثنا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 406

قال آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة وقال عبد الله بن الإمام أحمد 5134 حدثنا روح حدثنا عبد المؤمن حدثنا عمر بن شقيق حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنهم أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم الآية فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن فقال لهم أبي بن كعب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقراني بعدها آيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة قال هذا آخر ما نزل من القرآن فختم بما فتح به بالله الذي لا إله إلا هو وهو قول الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وهذا غريب أيضا وقال أحمد 199 حدثنا علي بن بحر حدثنا علي بن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى عمر بن الخطاب فقال من معك على هذا قال لا أدري والله إنني لأشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووعيتها وحفظتها فقال عمر وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجعلتها 2 سورة على حدة فانظروا سورة من القرآن فضعوها فيها فوضعوها في آخر براءة وقد تقدم الكلام أن عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن فأمر زيد بن ثابت فجمعه وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك وفي الصحيح

خ 4679 أن زيدا قال فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة وقد قدمنا إلى جماعة من الصحابة تذكروا ذلك ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها والله أعلم وقد روي أبو داود 5081 عن يزيد بن محمد عن عبد الرزاق بن عمر وقال كان من ثقات المسلمين من المتعبدین عن مدرك بن سعد قال يزيد شيخ ثقة عن يونس بن ميسرة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات إلا كفاه الله ما أهمه وقد رواه ابن عساکر في ترجمة عبد الرزاق عن عمر هذا من رواية أبي زرعة الدمشقي عنه عن أبي سعد مدرك بن أبي سعد الفزاري عن يونس بن ميسرة بن حليس عن أمر الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول ما من عبد يقول حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات صادقا كان بها أو كاذبا إلا كفاه الله ما أهمه وهذه زيادة غريبة ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق عن جده عبد الرزاق بن عمر بسنده فرفعه فذكر مثله بالزيادة وهذا منكر والله أعلم.